



على خطى صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم

مناذيل سعد بن معاذ في الجنة

من مقاصد دراسة سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم استخراج الدروس والفوائد من أحداثها ومواقفها لنستفيد منها في واقع حياتنا فيستقيم سلوكنا وتحسن أخلاقنا وتعلو هممتنا في طلب الجنة ومن هذه المواقف موقفه وحديثه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه لما تعجبوا من حلة (ثوبان أو ثوب له بطانة) حرير أهديت له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (لمن أدب سعاد بن معاذ في الجنة خير من هذا).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم: أتعجبون من هذا؟ قلنا: نعم قال: من أدب سعاد بن معاذ في الجنة خير من هذا) رواه البخاري. وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه قال: (أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم حبة سندس وكان ينهي عن الحرير فعجب الناس منها فقال: والذي نفس محمد بيده ل من أدب سعاد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا وقال سعيد عن قتادة عن أنس: إن أكدي دومة أهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم) رواه البخاري.

وفي رواية: (أن أكدي دومة أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبة حرير وذلك قبل أن ينهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الحرير فلبسها فعجب الناس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفس محمد بيده ل من أدب سعد في الجنة أحسن من هذا) رواه أحمد.

قال العيني: قوله: (أهديت) كان الذي أهدها أكيدر دومة كما بينه في حديث أنس في كتاب الهدايا في باب قبول الهدية من المشركين. وأكيدر هو: أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانيا ودومة: هي دومة الجندل مدينة بقرب تبوك. هذا الحديث والموقف النبوي مع أصحابه رضوان الله عليهم لما تعجبوا من هدية أكيدر فيه الكثير من الفوائد والعبر ومنها:
* فضل ومنزلة سعد بن معاذ رضي الله عنه:

- قال ابن القيم كما نقل عنه المناوي في فيض القدير: كان سعد في الأئصار بمنزلة الصديق في المهاجرين لا تأخذه في الله لومة لائم وختم له بالشهادة وأثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وحلفائه ووافق حكامه (في يهود بني قريظة) حكم الله من فوق سبع سموات ونعاه جبريل عليه السلام يوم موته فحرق له أن يهتز العرش له.

- قوله صلى الله عليه وسلم: (لمناذيل سعد في الجنة خير منها) قال النووي: المناذيل جمع منديل بكسر الميم في المفرد وهو هذا الذي يحمل في اليد. وقال العلماء: هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه لأن المنديل أدنى الثياب لأنه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل. وفيه إثبات الجنة لسعد. وقال العيني: وفيه منقبة عظيمة لسعد. وأما تخصيص المناذيل بالذكر فلكونها تُمْتَنُّ فيكون ما فوقها أعلى منها بطريق الأولى.

وفي شرح سنن ابن ماجه: وقال القرطبي: هذه إشارة إلى أدنى ثياب سعد لأن المناذيل إنَّما هي مُمتَنَّةٌ مُتَّخَذَةٌ لمسح الأيدي بها من الدنس والوسخ وإذا كان هذا حال المنديل فما ظنك بالعمامة والحلة؟ ولما يظن أن طعام الجنة وشرابها فيهما ما يدنس يد

المتناول حتّى يُحتاج إلى منديل فإن هذا ظنّ من لا يعرف الجنة ولا طعامها ولا شربها إذ قد نزه الله الجنة عن ذلك كلّ وإنما ذلك إخبار بأن الله أعد في الجنة كلّ ما كان يُحتاج إليه في الدنيا لكن هي على حالة هي أعلى وأشرف فأعد فيها أمشاطاً ومجامر وألوة ومناديل وأسواقاً وغير ذلك ممّا تعارفناه في الدنيا وإن لم نحتاج له في الجنة إتماماً للنعمة وإكمالاً للمنة.

– وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (من ادّيل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا) فيه: الحث والترغيب في المسعى والمسارة إلى الجنة لأنه إذا كانت مناديل سعد في الجنة أحسن وأجمل وألين من حرير الدنيا فما بالناس بما أعدّه الله عز وجل لعباده في الجنة من نعيم لم يخطر على قلب بشر؟ قال صلى الله عليه وسلم: (يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاقروا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (المسجدة: 17)) رواه البخاري.

– قال ابن حجر في فتح الباري: قال ابن بطال المنهي عن لبس الحرير ليس من أجل نجاسة عينه بل من أجل أنه ليس من لباس المتقين وعينه مع ذلك طاهرة فيجوز مسه وبيعه والانتفاع بثمنه.

*قبول النبي صلى الله عليه وسلم الهدية من المشركين:

من المفاهيم الخاطئة عند البعض أن علاقة المسلم بالكافر هي علاقة عنف وغلظة بإطلاق وهو خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الكفار فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم آداباً وضوابط تقوّم عليها العلاقة مع الكفار وهي آداب وضوابط مبنية على البر والعدل وعدم الظلم كما قال الله تعالى: (لَا يَنْهٰكُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ عَنْ اٰلِ ذِي الْقُرْبٰنِيْنَ اَنْ تَدْخُلُوْا عَلَيْهِمْ فَاِنْ كُنْتُمْ اٰلِ ذِي الْقُرْبٰنِيْنَ فَادْخُلُوْا عَلَيْهِمْ وَلْيُخْرِجُوْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ اَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتَقْسِطُوْا اِلَيْهِمْ اِنَّ الْمَلٰٓئِكَةَ لِيَرْجُوْا اِلَى الْمَرْءِ اِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِيْنَ) (الممتحنة: 8). وقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم الهدايا من أكيدر دومة والمقوقس وملك أية وغيرهم وثبت ذلك بأحاديث صحيحة.

قال النووي: قال القاضي: وإنما قبل النبي صلى الله عليه وسلم هدايا كفار أهل الكتاب ممن كان على النصرانية كالمقوقس وملوك الشام فلا معارضة بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يقبل زبد هدايا) (المشركين) وقد أبيع لنا ذبائح أهل الكتاب ومناكحتهم (الزواج من عفيفات أهل الكتاب) بخلاف المشركين عبدة الأوثان. وقال: .. فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ممن طمع في إسلامه وتألّفه لمصلحة يرجوها للمسلمين وكافأ بعضهم ورد هدية من لم يطمع في إسلامه ولم يكن في قبولها مصلحة لأن الهدية توجب المحبة والمودة.

فالأصل في هديه صلى الله عليه وسلم هو جواز قبول الهدية من الكافر تأليفاً لقلبه وترغيباً له في الإسلام وقد بوب البخاري في صحيحه: باب قبول الهدية من المشركين.

موقف وحديث النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ثم رأوا هدية أكيدي دومة وقوله لهم: (من ادّيل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا) فيه: بيان فضل سعد بن معاذ رضي الله عنه وتبشيره بأنه من أهل الجنة. وفيه: الحث والترغيب في المسعى والمسارة إلى الجنة وفيه: تحريم لبس الحرير على الرجال وفيه كذلك: قبول النبي صلى الله عليه وسلم الهدية من المشركين.